البلاغة والنقد الأدبي

مجلة فصلية علمية مُحكّمة

ملف العدد:

الأدب والترجمة

العدد المزدوج
5/4
خريف / شتاء
2015

مجلة فصلية علمية محكمة

البلاغة والنقد الأدبي

مجلة فصلية علمية محكمة

المدير المسؤول

د. محمد عدناني

هيئة التحرير

د. إدريس الخضراوي
د. فريد أمعضشو
د. عبد الخالق عمراوي
د. عبد العاطي الزياني
ذ. عبد العالي العامري
د. مصطفى الغراف-ي

الهيئة الاستشارية

د. أحمد بوحسن
د. حافظ إسماعيلي علوي
د. سعيد يقطين
د. سعيد جبار
د. عبد الفتاح لحجمري
د. عبد الله الغذامي
د. عبد المجيد نوسي
د. عبد العلي الودغيري
د. عبد النبي ذاكر
د. عبد الغني أبو العزم
د. مبارك حنون
د. محمد بلبول
د. محمد الظريف
د. محمد الأمين المؤدب
د. منذر عياشي

طبع هذا العدد بدعم من وزارة الثقافة

البلاغة والنقد الأدبي – مجلة فصلية علمية محكمة

عنوان المراسلة: صندوق البريد رقم 89. البريد المركزي. الرباط المدينة. المغرب.

البريد الإلكتروني: elbalaghawaennaqedeladabi14@gmail.com

أو adnanimohammed@gmail.com

الهاتف: 35 12 65 65 06 أو 44 67 35 37 05

الملف الصحافي: 6/014

رقم الإيداع القانوني: 2014PE0036

ردمد: 2351-8790

الغلاف من تصميم الفنان: محمد السالمي

الطباعة: دار الأمنية – الرباط

التوزيع: سبريس

لا تعبر المواد المنشورة عن وجهة نظر هيئة التحرير والهيئة الاستشارية

المحتويات

كلمة العدد 5

■ **دراسات وأبحاث:**

– تمثلات المرأة في أخبار الطفيليين (أحمد علواني) 9
– روايةُ فرويد، وفرويد روائيا؟ (حسن المودن) 25
– اشتغال الزمن في السيرة الذاتية (زكية حسني) 31
– ضحية البطولة الزائفة: مقاربة لقصيدة من روائع الحراز (عبد الكريم الشباكي) 43
– التفكيكية في النقد المغربي المعاصر: محمد مفتاح، حميد لحمداني (علي صديقي) 47
– تمثلات الصراع بين الأنا والآخر (محمد التعمرتي) 67
– حدود العلمية في تدوين الشعر العربي القديم ونقده (محمد عدناني) 73

■ **ملف العدد** (الأدب والترجمة):

– الترجمة الثقافية والفضاء الثالث (أنور المرتجي) 83
– حدود الترجمة والإبداع (حسن بحراوي) 97
– المفارقة في النقد الغربي: إشكالية الترجمة ومفهوم المصطلح (خيرة جريو) 109
– لا براءة في الترجمة (الترجمة بين الصدفة والضرورة) (رشيد بنحدو) 123
– محاولة في تحقيق دعوى قلق الترجمة العربية القديمة وتهويلها (السعيد أهرو) 131
– ترجمة أعمال عبد الفتّاح كيلَيطو: الوضع والوظيفة (عبد الكَبير الشرقاوي) 143
– صعوبات الترجمة وفضائلها (عبد السلام بنعبد العالي) 149
– «عودة النص» الإبداعي المغربي بالفرنسية إلى العربية من منظور ما بعد استعماري (فاتحة الطايب) 151
– الترجمة بين هجرة الذات وتأصيل الآخر (فريد الزاهي) 165
– ترجمة الأجناس الأدبية وحوار الثقافات (محمد بوشفر) 175

■ **ترجمة:**

– في الحاجة إلى أرسطو، كاترين غوليو، ترجمة وتقديم إدريس جبري 185
– نحو نظرية للمؤسسة الأدبية. جاك ديبوا، ترجمة إدريس الخضراوي 189
– هل توجد لغة قانونية؟، أودري لاور، ترجمة حافظ اسماعيلي علوي 201
– الصورة والمعرفة المشتركة: عذراء بنطلحة، بيير ألبن دُلانوي، ترجمة حسن بالكراع 209
– السجلِ الإيمائي في الشرائط المصورة، كلود بريمو، ترجمة سعيد بنكراد 213
– الشعريُّ والأدبية، أدريان مارينو، ترجمة عبد النبي ذاكر 221

■ **سيرة وحوار:**

– فريد الزاهي: الترجمة إن لم تكن مؤسسية، فهي تكون ثقافية، محمولة على هوى الأفراد واختياراتهم.. 231

■ **قارئ وكتاب**

– كتابة التأريخ العلمي والأدبي المحلي: قراءة في كتاب: «الحياة العلمية والأدبية وأعلامها بتارودانت للأستاذ أحمد بزيد الكنساني» (حسن طالب) 245

■ **مفاهيم وقضايا نقدية وبلاغية:**

– مفهوم الحِوارية: من المحكي الروائي إلى التداول الاستعاري (إبراهيم أسيكار) 253

حدود العلمية في تدوين الشعر العربي القديم ونقده

محمد عدناني[1]

1- العلم والأدب: مسافة التوتر والتجاذب

يبدو في كثير من الأحيان أن مجرد محاولة الكشف عن حدود التداخل بين العلم والأدب، والبحث عن تجليات أحدهما في الآخر يُشعر الناس بأن الباحث عن مظاهر التجلي يسعى إلى إكراه عُنُقَيْ المتنافرين على الائتلاف بلزوم ما لا يلزم، وتطويع ما لا يطيع إلا بالانكسار. ومرد هذا التوجس كامن -في اعتقادنا- في التعاريف البسيطة التي تختزل الأدب والعلم في مفاهيم ترفع من درجة الاختلاف بينهما، وكامن أيضا في المُراجَعات المستمرة لهذين المفهومين عند كل ممارسة نقدية. باعتبار النقد أحد المُسَوغات الكبرى للتَّجْسير بينهما.

والنزوع إلى هذا المنزع القائم على قاعدة الاختلاف في التمييز بين الأشياء -وإن كان مشروعا- فإنه يجافي منطق العقل ويركن إلى هُلامية الشهوة التي تزكي في النفوس الإحساس بغربة الأشياء عن بعضها البعض. بل إن هذه النزعة الاختزالية التبسيطية غالبا ما تتحول عند البعض إلى إيمان مريح يَهْجَعُ في ظله لمجرد أنه يُعفي من مشقة طرح السؤال ومعاناة البحث عما يمكن من الأجوبة. ففي ذلك مُكابدة لا قِبَلَ للمؤمنين بها.

ومثل هذا الموقف مرفوض في منطق البحث العلمي، ومردود بكثير من الحُجج، قاعدتها الأساس هي أن الأصل في مكونات الكون هو التكامل والتفاعل لا التجزيء والانشطار؛ وما محاولات التمييز التي يُلْجَأ إليها أحيانا إلا للتيسير لا للإقصاء أو مسخ الهويات. وتاريخ المعرفة يقدم الدليل القوي على تجاوز العلاقة مستوى التجاذب بين العلم والأدب إلى مستوى الاحتضان والتفسير.

ويكفي أن نشير إلى أن الأدب كان دائما جزءا من اهتمامات التفكير الفلسفي القديم، القائم على النسق الشمولي يوم كانت الفلسفة أم العلوم، قبل أن تدركها نزعة الانشطار التي وجهت التفكير الحديث.

إن قضايا الفلسفة لم تمنع الفلاسفة من الالتفات إلى الأدب وموضوعاته؛ فوضع أفلاطون كتاب «الجمهورية» الذي عالج فيه بعض القضايا الأدبية. ووضع أرسطو كتابيْ «فن الشعر» و«فن الخطابة»، إلى جانب كتب السياسة والفلك والرياضيات والفيزياء والطب والمنطق... التي هي علوم حقة صرف؛

1 - أستاذ البلاغة وتحليل الخطاب، جامعة محمد الخامس، الرباط.

بل إن ابن رشيق في «العمدة» نقل عن بعضهم هذا القول الذي يجعل الشعر مُحْتَضِنا للعلوم الأخرى عند اليونانيين. قال: «العلم عند الفلاسفة ثلاث طبقات: أعلى، وهو علم ما غاب عن الحواس، فأدْرَكَ بالعقل والقياس. وأوسط، وهو علم الآداب النفيسة التي أظهرها العقل من الأشياء الطبيعية (...). وأسفل، وهو العلم بالأشياء الجزئية والأشخاص الجسيمة. فوجب -إن كانت العلوم أفضلها ما لم تشارك فيه الجسوم- أن يكون أفضل الصناعات ما لم تشارك فيه الآلات، وإذا كانت اللُّحون عند الفلاسفة أعظم أركان العمل الذي هو أحد قِسْمَيْ الفلسفة وجدنا الشعر أقدم من لَحْنه لا محالة. فكان أعظم من الذي هو أعظم أركان الفلسفة؛ والفلسفة عندهم علم وعمل (...). ومن فضائله (يقصد الشعر) أن اليونانيين إنما كانت أشعارهم تقييد العلوم والأشياء النفيسة التي يُخْشى ذهابها. فكيف ظَنُّك بالعرب الذي هو فخرها العظيم وقِسطاسها المستقيم»[1].

إن التساؤل الذي ختم به ابن رشيق هذه القولة لا يصدر عن رجل جاهل لمقام الشعر من وجدان العرب، وإنما يخرج لإنجاز وظيفة الإقرار بالمنزلة الرفيعة للشعر الذي لم تعرف العرب علما أصح أو أعلم منه على حد قول عمر بن الخطاب. ولأنه كذلك، فقد أدرجه فلاسفة المسلمين - كالفارابي وابن رشد وابن سينا وغيرهم - ضمن مشروعهم الفكري الكبير، الذي سعوا من خلاله إلى تأصيل جملة من القيم النقدية المُسْتَخْلصة من قراءاتهم لأعمال أرسطو تحديدا. وقد تبعهم في ذلك نُبهاء البلاغيين والنقاد العرب الذين استأنسوا بما خَلُص إليه هؤلاء الفلاسفة ابتداء من القرن الرابع الهجري[2]، قبل أن يؤول هذا المشروع إلى الأفول لأسباب متعددة، يمكن ردها إلى انكماش المشروع الحضاري العربي برمته، واختلاف المرجعيتين العربية واليونانية. مما حال دون تخليص الكُلِّيات التي حركت عمل الفلاسفة والنقاد العرب آنذاك[3]. فنجاح مشروع بهذا الطموح الكبير كان يحتاج إلى موجة حضارية صاعدة؛ غير أن العكس هو الذي وقع كما قال الأستاذ العمري[4].

وبالرغم من المُراجعات المتكررة التي أعقبت التفكير الشمولي الذي تميز به نظر القدماء إلى كل المعارف، فإن الادعاء بأن هذه المُراجعات برهنت على قابلية المعارف للانفصال التام عن بعضها البعض يبقى خِلْواً من كل ما يُسْنِدُه. فاهتمام الفلاسفة بالظواهر الأدبية لا يزال مستمرا في العصر الحديث؛ وأوضح دليل على ذلك استعادة غاستون باشلار لما قُصَّ من الفلسفة حين امتد اهتمامه إلى قضايا أدبية

1 - العمدة، **ابن رشيق**، ج1/ ص 25-26.

2 - كثيرا ما دافع بعض الدارسين عن استفادة النقاد والبلاغيين العرب من مقومات العلم في نقدهم. قال **محمد مفتاح**: «لقد انتهينا إلى بعض الخلاصات في كتاب «مشكاة المفاهيم»؛ ومن تلك الخلاصات أن بعض البلاغيين والنقاد واللغويين في مشرق الأرض ومغربها، وظفوا بعض الأوليات الرياضية المنطقية والموسيقية والفلكية لتصنيف البلاغة والنقد والعروض بكيفية جَلية أو خفية. وممن برز منهم حازم القرطاجني والسجلماسي وابن البناء في الغرب الإسلامي». الشعر وتناغم الكون: التخييل، الموسيقى، المحبة. ص7.

3 - للتوسع أكثر في هذه الآراء يمكن الاطلاع على كتاب **محمد العمري** «البلاغة العربية: أصولها وامتداداتها». (من الصفحة226 إلى 259). وكتاب عبد الرحيم الوهابي «القراءة العربية لكتاب فن الشعر لأرسطو طاليس». دار عالم الكتب الحديث/ 2012، الذي دافع صاحبها من خلاله على التفاعل القوي بين العرب والفكر اليوناني الممثَّل في أعمال أرسطو خصوصا.

4 - أكد **محمد العمري** ذلك من خلال حوار كنت قد أجريته معه بعد قراءة لكتابه «دائرة الحوار ومزالق العنف..». منشور بجريدة المنعطف (الملحق الثقافي). العددان 55-56 بتاريخ 6-13 ماي 2005.

دقيقة ظُنَّ أنها «محجوزة» للنقاد والأدباء. فقد تحدث الرجل في كثير من كتبه مثل «التحليل النفسي للنار» و«الماء والأحلام» و«الهواء والاسترخاء» و«الأرض وتهويمات الإرادة» و«الأرض وحلم الراحة» و«النار والأحلام» و«جماليات المكان»، عن قضايا دقيقة في الخطاب الشعري خاصة، كالصورة والقيم الجمالية، والخيال واللغة الشعرية... هكذا إذن جمع الرجل بين فلسفة العلوم في أول عهده بالتأليف وفلسفة الأدب في آخر عهده بحقل المعرفة.

كل هذا، ولا أحد يستطيع أن يُنْكِرَ أن كل المدارس الأدبية وُلِدَتْ في حضن مدارس فلسفية صريحة؛ فترى المبدع في إبداعه والناقد في نقده يصدران عن مرجعية فلسفية معينة بخلفيات معلنة حينا وضمنية حينا آخر.

إن الخلاصة التي يمكن التشديد عليها في آخر هذا التحليل البسيط، هي أن النزوع الأدبي نحو العلم، والنزوع العلمي نحو الأدب نزوع طبيعي ما دام الهدف في النهاية هو السعي إلى الاقتراب من حقيقة الظواهر الطبيعية بما فيها الذات الإنسانية. فما الحديث عن علاقة العلم بالأدب إلا كالحديث عن علاقة البُعْدين المختلفين في الإنسان والمتجاذبين باستمرار (البعد الحيواني والبعد الإنساني). وكالحديث في علاقة الدين بالفلسفة، وعلاقة الفكر باللغة وبالقلب، وعلاقة الشعر بالخطابة، وعلاقة علوم العقل بالنقل، وعلاقة بلاغة الإقناع ببلاغة الإمتاع، وعلاقة البلاغة بالنقد... وما إلى ذلك من العلاقات بين أطراف تبدو متباينة ظاهريا من حيث طبيعتُها ومنطلقاتها، لكنها متكاملة ومتفاعلة جوهريا من حيث وظائفُها ونتائجها.

وإذن، فبينما تضيق مسافة التوتر بين العلم والأدب، يملأ التجاذب بينهما كل الفراغات عبر وسيط فعال، هو النقد وما رافقه من مناهج.

2-• من شهوة الرواية إلى علمية التدوين والنقد

لا يكاد يخلو مصدر أو مرجع يتخذ من الشعر العربي القديم موضوعا له، من تخصيص مبحث ينظر فيه صاحبه إلى علاقة الشعر بالرواية الأدبية والكتابة ودور كليهما في حفظه وتوثيقه أولا ثم نقده ثانيا.

ولأن المقام هنا لا يتسع لأكثر من إعطاء بعض الخلاصات لمناقشات مستفيضة لهذه العلاقة، فإننا نكتفي بالإشارة إلى أن الراجح من المواقف هو الذي يقول: إن الرواية الشفوية اختزلت كل الوسائط التي انتقل بها الشعر العربي القديم بين الناس قبل عصر التدوين. وهذا يعني أنها ستكون أكثر الوسائل التي توسل بها علماء الشعر لتوثيقه بعد تدوينه، وذلك من خلال عرض ما كُتِبَ أو وُجِدَ مكتوبا على الأعراب الرواة. فما أكدوه فهو صحيح وما أنكروه فهو مُنْكَرٌ[1].

وقد وصلت ثقة القدماء بالرواية الشفوية حدودها القصوى حين أضافوا لها وظيفة أخرى تتجاوز

1 - ذهب **الأستاذ نجيب البهبيتي** مذهبا آخر، إذ يجعل الكتابة أصلا ثابتا في عملية تدوين الشعر. قال: «أول ما أريد أن أقول به هو أن رواية الشعر في العراق جاءت عن أصول مكتوبة. وأن الشك الذي انبنى على أن رواية الشعر الجاهلي في العراق كانت شفوية، لا يعتمد على أساس متين. ولا يقوم على التحقيق العلمي». تاريخ الشعر العربي، ص192.

مجرد الحفظ إلى اعتمادها مقياسا حاسما للتمييز بين الشعراء ومعرفة راجِحِهم من شائِلِهم حين يوضَعون في ميزان المفاضلة[1].

ويمنحنا قول أبي عمرو بن العلاء: «ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله، ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير»[2] أكثر من مسوغ للتأكيد على أن الرواية كانت هي الآلية الأساسية لحياة الشعر وذيوعه في الناس. وما لم تَطَلْهُ الرواية كان عرضة للضياع. فكل ضياع للشعر العربي القديم لا يُفهم خارج إطار الرواية؛ إذ لم يُعْرَف للعرب في الجاهلية وصدر الإسلام مكتبات أدبية أُتْلِفَتْ بالحرق أو نُهِبَتْ أثناء الغارات، مثلما عُرف في العصور اللاحقة عن الفتوحات الإسلامية لاسيما في العصر العباسي. وهذا لا يعني –بالضرورة– عدم وجود بعض الدواوين الشعرية عند بعض الوُجهاء من عِلْية القوم، دون أن تمتد أيادي الناس إليها لتُطالعها، لسببين جوهريين في اعتقادي؛ يتصل الأول بصعوبة استنساخ هذه الكتب، وبالتالي صعوبة أو استحالة الحصول عليها؛ ويتصل الثاني ببعد طباع الناس عن ثقافة المكتوب[3].

ولا نعدم في تاريخ الشعر العربي القديم الكثير من الوقائع التي تبرز الدور الكبير الذي لعبته الرواية في تحديد مسار هذا الشعر؛ فعلى أعتاب زمن التدوين ضاع شعر العشرات من الشعراء الذين كانوا ينظمون على هامش الخصومات الشعرية الشهيرة بالنقائض بين جرير والفرزدق، فلم تحفظ لنا الذاكرة الشعرية غير شعر هذين الفَحلين، وشعر الأخطل بينهما، بينما ضاعت أشعار باقي الشعراء الذين قُدِّروا بأكثر من سبعين شاعرا. فمن منا يعرف بعضا من أشعارهم أو حتى أسماءهم؟.

وكما ضاعت أشعار هؤلاء، كان الضياع هو المصير الذي آلت إليه الأشعار الوفيرة التي كانت كافَحتْ ضد الدعوة الإسلامية وتناولتها بالسوء في شخص الرسول الكريم ونساء المسلمين تحديدا؛ إذ سكتت الرواية عنها مدفوعة في ذلك بوازع ديني وأخلاقي أنصف الدعوة الإسلامية وظلم مُدونة الشعر العربي القديم بدون شك.

وما نظن أن الأمر كان سينتهي بهذه المدونة على هذا النحو «السيئ» في تاريخ الشعر العربي لو توافرت أسباب أخرى للحفظ غير الرواية الشفوية.

وإذا كنا نحكم بهذا القطع في الدور المزدوج للرواية تجاه الشعر، فلأن نصوصا متعددة تناقلتها كتب النقد القديم تزكي هذا الحكم. ربما كان منطلقها الأساس هو تأكيد ابن سلام الجمحي على أن العرب

---

1 – أورد **ابن رشيق** قولا فيه تصنيف للشعراء حسب إجادتهم للرواية. قال: «وقالوا: الشعراء أربعة، شاعر خنذيذ، وهو الذي يجمع إلى جودة شعره رواية الجيد من شعر غيره. وسئل رؤبة عن الفحولة، قال: هم الرواة. وشاعر مفلق، وهو الذي لا رواية له، إلا أنه مجود كالخنذيذ في شعره. وشاعر فقط، وهو فوق الرديء بدرجة. وشعرور، وهو لا شيء». العمدة، ج1 / ص 114–115.

2 – طبقات فحول الشعراء، **ابن سلام الجمحي**، ص 25.

3 – عقد **ابن خلدون** فصلين في كتاب «المقدمة» لمناقشة تاريخ وأسباب انتقال العرب من ثقافة الشفوي إلى ثقافة المكتوب. وقد جعل العمران والصناعة شرطين أساسيين لسيادة ثقافة المكتوب، وهو ما لم يكن متيسرا للعرب في الجاهلية وبعدها بقليل. يرى أن الكتابة «تابعة للعمران، ولهذا نجد أكثر البدو أميين لا يكتبون ولا يقرؤون. ومن قرأ منهم أو كتب، فيكون خطه قاصرا أو قراءته غير نافذة». ص463. وقال في مكان آخر: «كان الخط العربي لأول الإسلام غير بالغ إلى الغاية من الإحكام والإتقان والإجادة ولا إلى التوسط لمكان العرب من البداوة والتوحش وبعدهم عن الصنائع». ص 464.

بعدما اطمأنوا بالأمصار المفتوحة، «راجعوا رواية الشعر، فلم يؤولوا إلى ديوان مُدوَّن ولا كتاب مكتوب، فألَّفوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل، فحفظوا أقل ذلك وذهب عنهم منه أكثره»[1].

أما تأكيده أن النعمان بن المنذر كان يملك ديوانا لأشعار الفحول، فلا يغير في الأمر شيئا ما دام هذا الديوان غير متيسر للناس؛ وإن كان ناصر الدين الأسد يجعل من مثل هذه الإشارات منطلقا لرؤية أخرى مخـالفة لما نذكره[2].

وقد كان هاجس الضياع كافيا لإثارة مشاعر التخوف في نفوس الشعراء الذين لم تعد الرواية الشفوية كافية لِلَجْم توجسهم، ولم تعد ثقتهم بها كاملة. فدعوا جهارا إلى تبني استراتيجية الكتابة لضمان حياة أطول لشعرهم. نقرأ في كتاب «الحيوان» للجاحظ هذا الطلبَ الذي توجه به ذو الرمة إلى عيسى بن عمر الثقفي قائلا: «اكتب شعري. فالكتاب أحب إلي من الحفظ لأن الأعرابي ينسى الكلمة وقد سهر في طلبها ليلته، فيضع في موضعها كلمة أخرى في وزنها ثم ينشدها الناس. والكتاب لا ينسى ولا يبدل كلاما بكلام»[3].

يضيف هذا النص علة أخرى للرواية المعتمدة أساسا على قدرة الذاكرة على حفظ الأشعار. فالذاكرة غالبا ما يَعْتَورها النسيان فلا يجد الراوي من حل إلا ملء الفراغات بما لم تقله الشعراء. وربما كان ذلك واحدا من الأَسباب التي جعلت النقاد يطعنون في رواية حماد الراوية خصوصا. إضافة إلى أسباب أخرى تتصل بالانتماء العرقي أو السياسي.

كما أن نص الجاحظ يضعنا –من جهة أخرى– على عتبات إشكال كبير في تاريخ الشعر العربي، لاسيما لحظة الانتقال من ثقافة الأذن واللسان/ الرواية إلى ثقافة اليد والعين/ الكتابة. وما رافق ذلك من عمليات استدعت توظيف آليات علمية لنقل الشعر من الذَّواكِر والصدور إلى المصاحف والكراريس. فكيف واجه علماء الشعر هذه الإشكالية؟ وما المنهج الذي اعتمدوه في عملية النقل هذه؟

إن الحكم بأن عملية الكتابة لم تكن ثقافة متمكنة من وجدان العربي، لا يعني –حتما– أن عصر التدوين كان طفرة في فراغ؛ وإنما هو تحول نوعي في الوسائط التي أصبحت ممكنة في تداول الشعر بغض النظر عن اعتماد العرب على المدونات في عملية التدوين، إضافة إلى الرواية الشفوية أو عدم اعتمادهم على هذه المدونات[4].

والثابت أن علماء الشعر وجدوا أنفسهم بعد هذا الجهد المضني في الجمع أمام مدونة شعرية ضخمة، لكنها تحتاج إلى كثير من التهذيب. فما جُمِع من المدونات المكتوبة طرح أمام هؤلاء إشكالية التصحيف لِما

1 – طبقات فحول الشعراء، **ابن سلام الجمحي**، ص 51.

2 – رأى أن صحف الكتابة كانت متوافرة وهذا يعني وفرة الكتب والمدونات والمكتبات العامة، ليخلص إلى أن عصر التدوين بدأ بزمن طويل قبل أواخر القرن الثاني الهجري ومطلع القرن الثالث. انظر كتابه «مصادر الشعر الجاهلي». ص 142.

3 – نقلا عن الشعرية العربية **لجمال الدين بن الشيخ**، ترجمة مبارك حنون ومحمد الولي ومحمد أوراغ، ص133.

4 – قال **عبد العزيز جسوس**: «إن هذه المدونات القديمة كانت مصدرا من مصادر العلماء الرواة في القرن الثاني لتدوين الشعر القديم فضلا عن اعتمادهم على الرواية الشفوية بالرجوع إلى أعراب البادية لاستقطار ما بقي عالقا بذاكرتهم». نقد الشعر عند العرب في الطور الشفوي، ص171.

اعتور هذه المدونات من بتر أو امِّحاء أو تَقادُم أو خط رديء لا يُسعف في تبين الكلمات وبالتالي المعاني؛ تماما كما طرحت الرواية الشفوية أمامهم إشكال نحل الشعر. وهو ما أضاف عبئا آخر على عاتق العلماء، يتجلى في ضرورة التحري والتوثيق الصحيح. ولم يجدوا أمام تعقد هذه المهمة التي يَنوء بها عاتق العالم الخبير من مخرج إلا إجماع العلماء. قال ابن سلام: «وليس لأحد – إذا أجمع أهل العلم والرواية الصحيحة على إبطال شيء منه – أن يقبل من صحيفة ولا يروي عن صحفي»[1]. وهكذا ظهر الدور الريادي للرواية الشفوية مرة أخرى كحكم لإثبات صحة الشعر أو نفيها، وإن لم يكن منصفا دائما نظرا لإشكالية النحل التي أعوزت المدققين من العلماء أمام حنكة بعض الذين دسوا الأشعار الموضوعة تحت عباءة الشعر القديم[2].

وقد اتخذ تجميع الأشعار ثلاثة أشكال كما أوردها المرحوم أمجد الطرابلسي في كتاب «نقد الشعر عند العرب حتى القرن الخامس للهجرة...»؛ إذ عمد العلماء إلى جمع أشعار الشعراء في دواوين مُفردَة تخص كل شاعر على حدة، أو في دواوين تضم شعراء القبيلة الواحدة، أو في شكل مختارات شعرية يحتكم فيها مصنفها إلى ذائقته الخاصة.

وهكذا وُجِدت مدونة شعرية صالحة لأن يُنْظَر فيها وتكون موضوعا للدرس والتحليل. فبدأت عملية تأمل النص الشعري القديم تأملا يتجاوز الملاحظات الانطباعية والتعليقات الواصفة التي ميزت العصر الجاهلي وصدر الإسلام، إلى البحث عن وفي خصوصية النص الأدبي لاسيما في علاقته بالنص القرآني، حيث أَحْوَجَ النقاش في الإعجاز القرآني إلى المقارنة والإثبات والنفي... . فكان النص الشعري هو المغذي الأول لهذا النقاش من خلال جلب الأمثلة والاستشهادات. ومن تم تكاثرت الملاحظات وتوسع النقاش إلى أن ثارت الخصومات بين القدماء والمحدثين التي سيكون من ثمارها الحديث عن البديع مع ابن المعتز الذي عُدَّ رافدا أساسيا من روافد النقد العربي القديم لاسيما في الجانب التطبيقي منه. وهو المتكأ الذي سيتكئ عليه النقاد والبلاغيون اللاحقون لبناء بعض التصورات النظرية النقدية والبلاغية، مثل قدامة بن جعفر في «نقد الشعر» وعبد القاهر الجرجاني في «دلائل الإعجاز» و«أسرار البلاغة»، ومن جاء بعدهما.

وستكون عملية الاختيار عملا مُكَمِّلا ومُفَعِّلا أيضا لهذه الحركة النقدية العلمية حيث بداية طرح الأسئلة حول الصناعة البلاغية بناء على «أسس جمالية وفكرية وأخلاقية في الحماسة والوحشيات»[3]؛ فكانت الصياغة الأولى لعمود الشعر، الذي ستكتمل صورته النهائية عند المرزوقي، مرورا بالآمدي والقاضي الجراجاني من قَبل.

وهكذا، فإن مرحلة اكتشاف الخصوصية الشعرية كان لا بد وأن تدفع إلى الانفتاح على العلوم المجاورة للنص الشعري القديم، خاصة تلك التي حاولت وضع معايير للغة، كعلم النحو الذي سيكون

1 – طبقات فحول الشعراء، ج 1، ص 4.

2 – وهو ما عبر عنه **ابن سلام** في «طبقات فحول الشعراء» بوضوح حين قال: «ثم كانت الرواية بعد فزادوا في الأشعار. وليس يشكل على أهل العلم زيادة ذلك ولا ما وضع المولدون، وإنما عضل بهم أن يقول الرجل من أهل بادية من ولد الشعراء أو الرجل ليس من ولدهم فيشكل ذلك بعض الإشكال». ج 1/ ص56.

3 – البلاغة العربية: أصولها وامتداداتها، **محمد العمري**، ص 20.

أحد المقومات الأساسية التي بنى عليها السكاكي تصوره للأدب في كتابه «مفتاح العلوم»، حيث جعل علميْ المعاني والبيان تابعين لعلم النحو. وهو ما يستفاد من قوله: «وقد ضَمَّنت كتابي هذا من أنواع الأدب -دون نوع اللغة- ما رأيته لا بد منه. وهي عدة أنواع مُتآخذة. فأودعته علم الصرف بتمامه (...)، وأوردت علم النحو بتمامه، وتمامه بعلميْ المعاني والبيان»[1]. وهو ما قاد في آخر المطاف إلى هيمنة المقولات النحوية، مُعَضَّدَة بالمنطق المُتَسَرِّب من حركة المُثاقفة، على الوظائف البلاغية في النص الشعري.

إن الخلاصة التي يمكن أن ننتهي إليها هي أن النص الشعري القديم استفاد كثيرا من كل العلوم المحيطة به وأفادها أيضا ما دامت اللغة العربية تجمع بين كل المعارف. فكان من الضروري أن يكون الحديث عن علوم اللغة من خلال الحديث عن علم الشعر والعكس صحيح أيضا. ليظل هذا النص حيا، وحياته -في اعتقادي- تكمن في مرونته الشديدة التي تجعله مستوعبا لكل القراءات بكل المناهج ما جد منها وما سيأتي من بعد.

المصادر والمراجع

- **ابن خلدون**، المقدمة، دار الجيل، بيروت، دون تاريخ وطبعة.
- **ابن رشيق**، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، ط 5/ 1981.
- **ابن سلام الجمحي**، طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، 1974م.
- **جمال الدين بن الشيخ**، الشعرية العربية، ترجمة مبارك حنون ومحمد الولي ومحمد أوراغ، دار توبقال، الدار البيضاء، ط 1/ 1996.
- **السكاكي**، مفتاح العلوم للسكاكي، تحقيق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت/ 1983.
- **عبد العزيز جسوس**، نقد الشعر عند العرب في الطور الشفوي، دار تينمل للطباعة والنشر، ط 1/ 1995.
- **محمد مفتاح**، الشعر وتناغم الكون، مكتبة المدارس، البيضاء، ط 1/ 2002.
- **محمد العمري**، البلاغة العربية: أصولها وامتداداتها، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط 1/ 1999.
- **نجيب محمد البهبيتي**، تاريخ الشعر العربي، دار الفكر، بيروت، ط 4/ 1970.
- **ناصر الدين الأسد**، «مصادر الشعر الجاهلي»، دار المعارف، مصر، ط 5/ 1978.

1 - مفتاح العلوم، **السكاكي**، ص6.

المساهمون في العدد :

- إبراهيم أسيكار
- أحمد علواني
- إدريس جبري
- إدريس الخضراوي
- أنور المرتجي
- حافظ اسماعيلي علوي
- حسن بالكراع
- حسن بحراوي
- حسن طالب
- حسن المودن
- خيرة جريو
- رشيد بنحدو
- زكية الحسني
- سعيد بنكراد
- السعيد أهرو
- عبد الخالق عمراوي
- عبد الكبير الشرقاوي
- عبد الكريم الشباكي
- عبد السلام بنعبد العالي
- عبد النبي ذاكر
- علي صديقي
- فاتحة الطايب
- فريد الزاهي
- محمد بوشفر
- محمد التعمرتي
- محمد عدناني

البلاغة والنقد الأدبي

مجلة فصلية علمية مُحكّمة

الملف المقترح للعدد القادم :

- الرواية المغربية وآفاق التجريب

الثمن : 38 درهما